المقدمـــة

مقدمـــــة

منذ مطلع القرن العشرين ، مثلت القرية مجالا مختارا لنشوء وتطـــور الروايـــة بمعناها الفنى فى مصر ، حين قدم محمود خيرت روايته (الفتى الريفـــى) عـــام١٩٠٣، و(الفتاة الريفية) عام ١٩٠٥ ، وعبد الحميد البوقر قاصى (القصاص حياة) عـــام١٩٠٤، ومحمود طاهر (عذراء دنشواى) عام١٩٠٦ ، لتتوالى بعدهـــا أعمـــال محمـــد حســـين هيكل(زينب) عام١٩١٤ ، و طـــه حسين (دعاء الكروان) عام١٩٣٤ ، وتوفيق الحكيـــم (يوميات نائب فى الأرياف) عام١٩٣٧ ، وعبد الرحمن الشرقاوى (الأرض) عام١٩٥٤، و(قلوب خالية) عام١٩٥٧ ، و(الفلاح) عام١٩٦٨ ، ومرورا بأعمال عبد الحكيم قاســـم ، (أيام الإنسان السبعة) عام ١٩٦٩ ، و (قدر الغرف المقبضة) عام١٩٨٢ ، خيرى شـــلبى (السنيورة) عام١٩٧٨ (الوتد) ١٩٨٦ ، واستمراراً مع أعمال بهاء طاهر (خالتى صفيـــة والدير) عام١٩٩١، محمد البساطى (بيوت وراء الأشجار) عام١٩٩٣ ، صـــلاح والـــى (عائشة الخياطة) عام١٩٩٧ ، (كائنات هشة لليل) عام٢٠٠٠ ، (الرعيـــة) عـــام٢٠٠٢ (أوجاع الطين) عام٢٠٠٢.

وقد يرجع ذلك إلى أن الرواية وجدت فى هذه الوحدة العمرانية ، وفى حياة أهلـــها، ما يستحق بل يستوجب التوجه إليه ، باعتبارها موطن الإنتاج الزراعى الأول والأهم فـــى المجتمع المصرى ، وانطلاقاً من أن سكانها هم الأكثر عددا والأقل حظا فـــى الحصـــول على ما يغطى احتياجاتهم ، وبمقتضى أن الرواية أكثر من أى جنس أدبى آخر هى الأقدر على تصوير الإنسان فى علاقته بمجتمعه .

ومن الملاحظ تعدد صورة القرية عبر الأعمال الروائية التى تناولتها،بالنظر إلـــى تباين المكونات التى ساهمت فى تشكيل هذه الصورة من ذاكرة جمعية وخبرة ذاتية،ورؤية للعالم،إضافة إلى الطبقة الاجتماعية التى ينتمى إليها الروائى، أو الحالـــة النفســـية، كمـــا

فسر توفيق الحكيم ، ناهينا عن تباين أوضاع القرية ، سواء على المستوى الاقتصادى أو الاجتماعى أو السياسى من فترة تاريخية إلى أخرى .

واهتمام الدراسة هنا صادر عما تحظى به هذه الوحدة العمرانية من مكانة وسط العالم الروائى ، توجها ملازمتها للخطوات الأولى للرواية المصرية ، واتخاذ العديد من الروايات لها كمجال فنى عبر فترات متفاوتة ، كما يمكن اعتبارها وعاء ملائما لعرض آراء الروائيين،وأفكارهم،ورؤيتهم للعالم ، وكيفية تفاعلهم مع مشكلات مجتمعهم،ومواقفهم منها.

وللوقوف على ضرورة هذه الدراسة وأهدافها ، علينا أن نلقى نظرة على "تراث" البحث فى موضوعها ، وجوانب الإسهام التى يمكن أن تحققها كالآتى :

(١) بالنسبة للمحاولات الروائية لدراسة هذا الموضوع ، فالملاحظ أنها لم تستوعب شموله، وتبدد كثيرا من الغموض حوله ، **وذلك للأسباب التالية :**

أ – سيادة التصور الشائع حول القرية المصرية ، الذى يقصر دورها على النشاط الزراعى ، أو " الأرض " ، مما حجب شموله لجميع مجالات،ودينامية الحياة اليومية .

ب- تزايد النزعة الرومانسية فى الروايات التى تناولت القرية ، بإكسابها صفات الفطرة والنقاء والأصالة ، وهو ما نلاحظه فى أعمال هيكل ، وطه حسين ، ومحمد عبد الحليم عبد الله .

جـ- التعامل مع القرية المصرية على أنها وحدة عمرانية متجانسة ، وذاك أمر يحتاج إلى مزيد من التدقيق،والمراجعة فى شأن تنوعها وتعددها ، ويلاحظ ذلك فى الجدل حول انتماء بعض الروايات إلى القرية أو إلى المدن الصغيرة (المدن المتريفة) كروايات يوسف أبو رية (عطش الصبار ، تل الهوى ، الجزيرة البيضاء) .

د – شيوع فهم خاطئ لمفهوم " الصورة " ، يقصره على الإطار الفوتوغرافى، الذى ينم عن الثبات والسكون من ناحية ، والتطابق الكامل مع الحقيقة من ناحية أخرى ، وإغفال ما لهذه الصورة من دينامية ، وتشابك فى العلاقات بما يفرض إعادة تشكيل وتكوين واقع القرية،ولكن تبعا لرؤية الفنان،أو الروائى للعالم .

(٢) وبالنسبة لجوانب الإسهام التى يمكن أن تحققها دراسة هذا الموضوع ، فإنها تدور حول محورين أساسيين :

المحور الأول : نظرى ، كمحاولة لإثراء البحث فى دراسة موضوعها.ولإلقاء الضوء على أهمية دراسة صورة القرية فى ديناميتها .

أما **المحور الثانى** : فمنهجى ، يركز على إمكانية وسبل الإفادة من الأطر المعرفية والمنهجية فى علم اجتماع الأدب .

ولعل ما يزيد فى أهمية الدراسة ، ندرة البحوث التى تنتمى لعلم اجتماع الأدب فى هذا الموضوع ، باستثناء دراستين لفتحى **أبو العينين** ، وصالح سليمان عبد العظيم . وحتى هاتين الدراستين ، فإنهما ركزتا أساسا على العلاقة بين السلطة السياسية والجماعة الريفية، بما قد لا يعطى اهتماما لكافة الجوانب الأخرى المحددة والموضحة لصورة القرية فى كليتها ، وهو ما تسعى إليه دراستنا الراهنة .

ولكن ، لماذا اختيار أعمال الروائى يوسف القعيد كمجال للتعرف على صورة القرية المصرية ؟ .

ذلك لأنه عبر الروايات المقدمة حول القرية المصرية[١] ، تبدو أعمال هذا الروائى الأكثر تعبيراً عن التحولات الاجتماعية التى شهدها المجتمع المصرى خلال النصف الثانى من القرن العشرين ، وإن كان للقرية النصيب الأكبر من هذه الأعمال، سواء الروائية منها أو القصصية . فقد صورها عبر تفاعلها وتعايشها مع الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى مر بها المجتمع المصرى منذ الستينيات وحتى التسعينيات ، مما أتاح له فرصة التعبير عن صورة للقرية عبر فترات زمنية مختلفة.

يضاف لذلك ما تحظى به أعماله من نصيب كبير من اهتمام النقاد ، حيث بدت موضوعا للعديد من الدراسات سواء منها الأدبية أو الاجتماعية[٢]، وتأتى النشأة الريفية للروائى[٣]، مكملة لجملة الأسباب السابقة التى أدت لاختيار أعماله كمجال للدراسة.

---

[١] يراجع الملحق رقم (٣) ، الخاص ببليوجرافيا الأعمال الروائية التى تناولت القرية المصرية ، ص ص٣٢٨-٣٣٨ .

[٢] يراجع الملحق رقم (٢) ، الخاص ببليوجرافيا يوسف القعيد ، ص ص٣١٥ - ٣٢٦.

[٣] يراجع الملحق رقم (١) ، الخاص بالسيرة الذاتية لروائى الدراسة ، ص ص ٢٩٩ - ٣١٣.

واستناداً على ما سبق ، يمكن القول أن الدراسة تستهدف مقاربة وتوضيح الصورة الدينامية للقرية المصرية ، كما تبدو فى أعمال يوسف القعيد،وعبر عدد من المحكات المتداخلة،والمبينة لهذه الصورة.

ولكى تصل الباحثة إلى صياغة محددة،وواضحة لمشكلة بحثها ، فقد طرحت مجموعة من التساؤلات ، تعتبر مدخلا لفهم مشكلة البحث ، ومحاولة لتحقيق أهداف الدراسة.

ويمكن إجمال هذه التساؤلات عبر تساؤل عريض متماسك ، هو :

هل تقدم أعمال الكاتب بنية دالة متماسكة ، يمكن أن تشى بصورة دينامية للقرية ، فيما يتصل بأبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية والجمالية ؟

وبناء على هذا التساؤل الرئيسى ، تثار تساؤلات فرعية ، تزيد من توضيح أبعاد هذه الدراسة وأهدافها كالآتى :

التساؤل الأول : هل تشى أعمال الكاتب ببنية دالة متماسكة يمكن أن توضح صورة دينامية للقرية ؟

ويندرج تحت هذا التساؤل ، تساؤلات أخرى فرعية من قبيل :

- هل تقدم أعمال الكاتب موضوع الدراسة بنية دالة متماسكة ؟
- كيف عبرت هذه البنية عن صورة القرية ؟
- هل تبدو هذه الصورة دينامية أم ثابتة ساكنة ؟
- هل عبرت هذه البنية عن الوعى الفعلى والوعى الممكن لسكان القرية؟
- ما هى العوامل التى ساهمت فى تشكيل هذه البنية ؟
- هل عبرت رؤية العالم كما تناولتها أعمال الروائى مع مثيلتها للجماعة الاجتماعية التى ينتمى إليها الكاتب ؟

التساؤل الثانى : ما مدى تأثر بناء هذه الصورة جماليا بأبعادها السياسية والاقتصادية والثقافية ؟

ويندرج تحت هذا التساؤل ، تساؤلات فرعية أخرى من قبيل :

- كيف عبرت هذه الأعمال عن ممارسات بناء القوة فى القرية من خلال التراتبية الطبقية ، والسلطة المحلية ، والمشاركة السياسية ؟

- بأية أساليب ساهمت هذه الأعمال فى توضيح صورة العلاقات الانتاجية فى القرية من حيث تداخل أنماط الانتاج أو الحراك الاجتماعى ؟
- ما هو المدى الذى وضحت به هذه الأعمال جدل التقليد والتحديث فى القرية ، سواء على مستوى علاقة القرية بالمدينة ، أو أدوار المرأة الريفية ، أو العلم والخرافة؟
- هل عبرت جمالية هذه الأعمال عن صورة القرية ، إن على المستوى اللغوى، أو البلاغى ، أو السردى ، أو القيمى ؟

تلك هى تساؤلات الدراسة الرئيسية والفرعية ، وكلها تدور حول محاولة استيضاح صورة القرية المصرية من خلال الأعمال الروائية التى قدمها القعيد .

وقد كان لإثارة هذه التساؤلات ما مكن الباحثة من صياغة مشكلة بحثها بصورة دقيقة ، ومن تحديد الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه ، والذى يكمن فى التعرف على صورة القرية المصرية ، وتشابكها مع جوانبها الاقتصادية والسياسية واطارها الثقافى .

وفى مسعى لتحقيق هذا الهدف ، سوف تتم معالجة مشكلة الدراسة عبر مستويين متداخلين من التحليل : مستوى تاريخى ، بمحاولة تتبع وفهم الصورة التاريخية للقرية المصرية، اعتمادا على الدراسات والبحوث السابقة ، ومستوى معاصر ، يستهدف وصف صورة القرية وتوضيحها من خلال أعمال يوسف القعيد الروائية .

ولا شك فى أن صعوبات بعينها واجهت هذه الدراسة ، بالنظر إلى محاولة مقاربة وتوضيح صورة القرية المدروسة ، بسبب تعدد جوانبها وأبعادها ، تقابله ضآلة – بل ندرة – المساهمات العلمية حولها .

وبعض هذه الصعوبات نظرية ، تتصل باختيار التوجه النظرى الملائم للدراسة ، نتيجة تعدد الأطر والتوجهات النظرية فى إطار علم اجتماع الأدب .

وكذلك فيما يتعلق بدراسة صورة القرية ، والتى لازالت تواجه بعديد من المشكلات فيما يتصل بتقدير أهمية أبعاد هذه الصورة المختلفة ، وقلة الدراسات عنها ، وتركيزها فى الغالب على بعد واحد.

أما الصعوبات المنهجية ، فتمثلت فى مدى الإفادة من منهج تحليل المضمون كتقنية علمية ومهارة متجددة ، لا تقف عند حد التحليل الكمى للنص ، بل تتجاوزه .

للنظر إلى هذا المضمون أو المحتوى باعتباره محتوى ثقافيا ، دلاليـــا ، تأويليـــا ، مـــع الاهتمام بالنص فى شموليته وكليته دون أجزائه ،عبر نسيج مـــن العلاقـــات المتشـــابكة والمتداخلة ، ودون إغفال السياق الاجتماعى الذى أُنتج فى ظله هذا النص .

وعن الصعوبات الاجرائية ، فتعلقت بإعداد ببليوجرافيا رواية القرية[1] ، والتـــى حاولت الباحثة خلالها تقديم حصر شامل لكافة الأعمال الروائية التـــى تنـــاولت القريـــة المصرية منذ صدور أول رواية لـــ محمود خيرت (الفتـــى الريفـــى) ١٩٠٣ ، وحتـــى الراهن، فى محاولة لإلقاء الضوء على ما حظيت به القرية المصرية من مكانـــة وســـط الأعمال الروائية ،بدأت منذ الخطوات الأولى للرواية ، وتمخض عنها العديد من الملامـــح والرؤى لصورة القرية ، مما ينم عن ثراء هذه الصورة وديناميتها وتنوعها . و يزيد من هذه الصعوبات،عدم توفر عمل ببليوجرافى اختص برواية القرية ، وإن وجُد فيهتم بحصر عام للأعمال الروائية ، ناهيك عن تعدد الآراء بالنسبة للطبعة الأولى،ومكان النشر لعدد من الروايات ، بل والاختلاف حول انتماء بعض الأعمال لأنواع أدبية معينة ، خلقت نوعـــا من القصور والإغفال لعدد من الأعمال .

ورغم محاولات الباحثة تذليل هذه الصعوبات ، فلا سبيل إلى إنكار أثرهـــا فـــى التحقيق النهائى للدراسة .

وهكذا ، وفى سياق محاولة تحقيق هدف الدراسة ، تم تبويب موضوعاتها إلـــى ثلاثة أبواب ، تضم ثمانية فصول مع مقدمة ، ومستخلصات ، وملاحق :

فقد اختص **الباب الأول**،بتقديم الأسس النظرية والمنهجية التى تقوم عليها الدراســة فى محاولتها استيضاح صورة القرية واحتوى فصولا أربعة :

قدم **الفصل الأول**،النظريات الاجتماعية والمداخل المختلفة فى ميدان علم اجتمـــاع الأدب ، وعرضت الدراسة للمداخل المعرفية ، والامبريقية ، والجدلية ، كخطوة للتوصـــل إلى المدخل البنيوى التوليدى الذى تم تبنيه ، مع تقييم نقـــدى لـــهذه المداخـــل الســـابقة ، وتوضيح أهمية اختيار المدخل البنيوى التوليدى.

---

[1] يراجع الملحق رقم (٣) الخاص ببليوجرافيا رواية القرية.

واشتمل **الفصل الثانى** على عرض لبعض من الدراسات السابقة ،**والتى** ستستند إلى محورين ، منها : الدراسات الاجتماعية التى تنتمى لعلم اجتماع الأدب ، والدراسات الأدبية.

واحتوى **الفصل الثالث على المفاهيم الأساسية للدراسة**، والتى تتصل"بصورة القرية" ، و "الرواية" وإن وجدت بعض المفاهيم الفرعية والتى تناولت المقولات الرئيسية للبنيوية التوليدية وهى " رؤية العالم " ، " الوعى الممكن " ، "الوعى الفعلى " ، " البنية **الو**لالية "، وكذلك المفاهيم الأخرى التى تستعين بها الدراسة، والتى سيتم عرضها كل فى موضعه.

وتناول **الفصل الرابع** الأسس المنهجية ، وتتضمن نوعية الدراسة ، ووحدة الدراسة والمناهج المستخدمة.

أما **الباب الثانى،فعن القرية المصرية ، حيث اهتم** بالتناول التاريخى لها عبر فصلين :

قارب **الفصل الخامس،لتقديم**لمحة تاريخية عن القرية المصرية عبر التاريخ وبخاصة فى ظل الانفتاح الاقتصادى .

وانطوى **الفصل السادس** ، على التعريف بقرية الروائى (الضهرية) من حيث تاريخها،ونطاقها الايكولوجى،والموضع الإقليمى ، والتركيب الديموجرافى ، وكذلك الأنشطة الاقتصادية،والمؤسسات الخدمية ، وملامح وسمات بناء القوة .

وشمل **الباب الثالث**، التشكيل الروائى لصورة القرية كما بدت فى أعمال القعيد ، واحتوى فصلين :

اختص **الفصل السابع**،بجماليات النص الروائى القعيدى ، عبر أربع مستويات: المستوى اللغوى ، والبلاغى ، **والسردى** ،**والقيمى**.

ووضح **الفصل الثامن**،صورة القرية الروائية ، بأبعادها الاقتصادية والسياسية والإطار الثقافى.

أما المستخلصات فاهتمت بمناقشة وعرض للنتائج ، على حين انتهت الدراسة بإيراد ملاحق **ثلاثة** ، هى :

- **الملحق الأول** : للسيرة الذاتية للروائى.

- **الملحق الثانى** : **ببليوجرافيا** يوسف القعيد ، التى تضمنت أعمال الروائى الأدبية ، وأعماله التى ترجمت إلى لغات أخرى، وتلك التى تحولت إلى أعمال فنية ، ثم الدراسات والمقالات التى تناولت الروائى وأعماله ، وكذا الرسائل الجامعية.
- **الملحق الثالث** : **ببليوجرافيا** الأعمال الروائية التى تناولت القرية المصرية .